حركة الكشف

للكشاف أحمد الشرباني جمعة الشرباصي

بين يدي الآن هذا الكتيّب الصغير ، دفعه إليّ رسول من مؤلفه يرجوني أن أنظر فيه وأكتب عنه ، وأنا رجل عِفتُ الكتابة عن المؤلفين والكتب من زمان ؛ فما بي طاقة على أن أظلم نفسي فأقول للسيء أسأت فأتعرض لغضبه أو عتبه ، وما لي طاقة على أن أغش قرائي فأقول عن الرديء إنه حسن وما فيه إلا حسن العاقبة لنفسي ...

ولكن ما بال هذا الكتاب يدعوني إليه فأفرغ له ، فلا أدعه حتى أتمه ، ولا أتمه حتى أهم بالكتابة عنه ، ولا أهم بالكتابة حتى تنثال عليّ المعاني انثيالا ويمضي بي الفكر إلى غايته ؟

لا ، لم يكن هو الكتاب ما دعاني إلى ذلك بما فيه ولكن بما حوله ، وليست هي مادته ولكن مؤلفه وظروفه : هذا فتى أزهري يطل عليك وجهه في الصفحة الأولى من الكتاب ، بعمامته الصغيرة ، وجبته المزرورة ، وبنيقته المراغية البيضاء ... وما كنتَ تتوقع هذا ولا شك ، وأحسبك ستدهش دهشتي حين تقرأ هذا فتسأل نفسك : ما لهذا الفتى الشيخ ؟ وما جاء به إلى هنا ؟ وستفكر في كل جواب لسؤالك إلا أن يكون هذا الشيخ الصغير هو مؤلف الكتاب ...

إي وربي إنه هو مؤلفه ، وإنه هو هو أحمد الشربيني جمعة الشرباصي الكشاف ، بعمامته الصغيرة ، وجبته المزرورة ، وبنيقته البيضاء ... كشاف أزهري بعمامة ! لوددت والله بما تشاء من ثمن أن أرى هذا الكشاف الشيخ في ملابس الميدان ، لأرى كيف يستر ركبتيه العاريتين في سراويله القصير وعلى رأسه عمامته وعلى ظهره راويته وسفرته ...

ها هو ذا أزهري فتى يضرب المثل لإخوانه الأزهريين في الفتوة الرحيمة التي تعمل للإنسانية . يا له من فتى متمرّد ! لا ، لا تسموه متمرداً ، إنه فتى يعرف ما عليه من تبعات الرجولة في غد فأعدّ للغد عدته ، فلا عليه إن كان هو وحده الفتى الكشاف في الأزهر الكبير وروافده . إنني لفخور به

ليت شعري ، هذه فرق الكشافة تنتظم تلاميذ المدارس عامة فلماذا لا نرى في الأزهريين فرقة كشافة ؟ أترى تلاميذ المدارس المُدن الصغار أقدر على خشونة الكشافة من شباب الأزهر ، أم يرون الفتوة عاراً لا تليق برجال الدين ... ؟ إنهم لأصح جسما وأوفر نشاطاً وأقدر على مشقات الكشف والرحلة من هؤلاء الصغار ، وإنهم ليعلمون علم اليقين أن دينهم هو دين البساطة التي يؤثرها الكشاف ، ودين القوة التي يدعو لها الكشاف ، ودين النجدة التي يعدّ لها نفسه الكشاف ، فأين هي فرق الكشافة في الأزهر وروافده ؟

إن لدي لكلاماً كثيراً أخشى أن أقوله فيغضب من لا أريد أن يغضب ، فحسبي ما قدّمت من قول وحسب الأزهريين ، وليس حسبهم أن يكون فيهم كشاف واحد يشعر بوجود نفسه هو هذا الكشاف !

وبعد فهذه خواطر من وحي هذا الكتاب في نفسي ، وما أريد أن أعرّف عنه بأكثر من ذاك ؛ ولكنه كتاب نافع على كل حال : نافع للأزهريين عامة ليعرفوا به عن الكشافة ما قد يحببهم فيها فيكونون جنودها ، ونافع للكشافين عامة ليبصرهم بكثير مما قد يغيب عنهم من واجبات الكشاف ، ونافع لمعلّمي فرق الكشافة في مختلف المدارس لعلهم يجدون فيه مادة يدرسونها ، ونافع لكل قارىء لأن فيه أبواباً من العلم والتاريخ والتسلية تلذ كل قارئ ؛ وقد نفعني أنا أيضاً لأنه نبهني إلى ما قدمت من قول عن الرياضة والكشف والرحلات في برنامج دراسة الأزهريين . أترى مؤلفه قد انتفع به كما انتفع كل هؤلاء ؟

بارك الله في هذا الكشاف البطل ونفع به

(س)

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧